

( وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ (٦٣) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ مَتَّبِعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) . [ هود : ٦١ - ٦٨ ] .

( وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ) نبياً يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وينهاهم عن الشرك والتنديد.

• وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع. قال تعالى (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ).

• قال الرازي: قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثموداً لقلعة مائها من التمد، وهو الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام وإلى وادي القرى، وقيل سميت ثمود لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. عن ابن عُمَرَ قَالَ (مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ). ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا.

• قال ابن كثير: قوله تعالى (إِلَى ثَمُودَ) وهُم الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ مَدَائِنَ الْحِجْرِ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا بَعْدَ عَادٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ صَالِحًا) فَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَّةَ لَا شَرِيكَ لَهُ الْخَالِقِ الرَّازِقِ .

( قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) دعوته عليه السلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين، الأمر بعبادة الله، وبيان أنه ليس للعباد إله غير الله.

• قال ابن عاشور: يدل على أن ثمود كانوا مشركين، وقد صُرح بذلك في آيات سورة هود وغيرها، والظاهر أنهم عبدوا الأصنام التي عبدتها عاد، لأن ثمود وعاداً أبناء نسب واحد، فيشبه أن تكون عقائدهم متماثلة. (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أي: ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْهَا، مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي خَلَقَ مِنْهَا أَبَاكُمْ آدَمَ .

كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) يعني أباهم آدم، الذي هو أصلهم، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغرب. كما قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) وقال تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

وقال تعالى (والله خلقكم من تراب) أي: ابتداء خلق أبيكم آدم من تراب.

وقال تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعني خلق أبا البشر آدم من طين.

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ) وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ).

وجاء في السنة ما يؤيد هذا: قال عليه السلام (الناس بنو آدم، وآدم من تراب).

وقد أمر الله عباده أن ينظروا في هذا الخلق الهائل كما قال تعالى ( فلينظر الإنسان مما خلق ) .  
فالذي خلق الإنسان وجميع الأشياء هو المستحق للعبادة .

وقد نبه تعالى على ذلك في سورة الزمر :

قال تعالى ( خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ) .

وقد رد الله على الذين ينكرون البعث بأنه أوجدهم من نطفة، ثم طور خلقهم حتى صاروا شيوخاً، ومنهم من يرد إلى أرذل العمر.  
قال تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُعَزِّبَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَحْسَنِ مَقَامٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ) .

فالذي خلق الإنسان هذا الخلق وطوره هذا التطوير لا يعجزه أن يبعثه يوم القيامة من جديد ، وهو وحده الذي يستحق العبادة  
وقد احتج نوح على قومه بهذا الخلق العجيب وتلك الأطوار المدهشة لذوي الألباب ، كما قال تعالى ( مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ) .

( وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ) قولان للعلماء :

الأول : أي جعلكم عمارها وسكانها .

والثاني : من العمر ، والمعنى أطل الله أعماركم فيها .

ويدل للأول قوله تعالى ( ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ) .

( فَاسْتَغْفِرُوهُ ) لسالف ذنوبكم .

( ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ ) فيما تستقبلونه .

( إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ) أي : إن استغفرتموه ورجعتم إليه .

كَمَا قَالَ تَعَالَى ( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ) .

● قال الشنقيطي : ذكر في هذه الآية أنه جلَّ وعلا قريبٌ مجيبٌ دعوة الداعي وبين في آية أخرى تعليق ذلك على مشيئته  
جلَّ وعلا وهي قوله ( فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّعْلِيْقُ بِالْمَشِيئَةِ فِي دُعَاءِ الْكُفَّارِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْآيَةِ ، وَالْوَعْدُ الْمَطْلُوقُ فِي دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَيْهِ  
فَدَعَاؤُهُمْ لَا يُرَدُّ ، إِمَّا أَنْ يُعْطُوا مَا سَأَلُوا أَوْ يُدَخَّرَ لَهُمْ خَيْرٌ مِنْهُ أَوْ يُدْفَعَ عَنْهُمْ مِنَ السُّوءِ بِعَدْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْمُرَادُ بِالِدُّعَاءِ الْعِبَادَةُ ، وَبِالْإِجَابَةِ التَّوَابُ ، وَعَلَيْهِ فَلَا إِشْكَالَ .

( قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ) يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَ صَالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ  
مِنَ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ فِي قَوْلِهِمْ : ( قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ) أَي : كُنَّا نَرْجُوكَ فِي عَقْلِكَ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ مَا قُلْتَ !

● قال ابن عطية : ( مرجوًّا ) معناه : مسودًّا ؛ تؤمل فيك أن تكون سيِّداً ساداً مسدّاً الأكاير .

● وقال القرطبي : أي كنا نرجو أن تكون فينا سيِّداً قبل هذا ؛ أي قبل دعوتك النبوة .

● قال في التفسير الوسيط : أي قال قوم صالح له بعد أن دعاهم لما يسعدهم : يا صالح لقد كنت فينا رجلاً فاضلاً نرجوكم  
لمهمات الأمور فينا لعلمك وعقلك وصدقك .. قبل أن تقول ما قلته ، أما الآن وبعد أن جئتنا بهذا الدين الجديد فقد خاب  
رجاؤنا فيك ، وصرت في رأينا رجلاً مختل التفكير .

( أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) أي : أجتئنا بدعوتك الجديدة لتنهانا عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا من قبلنا؟ لا، إننا لن نستجيب لك، وإنما نحن قد وجدنا آباءنا على دين وإننا على آثارهم نسير.

( وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ) أي : لن نترك عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا، وإنما لفي شك كبير، وريب عظيم من صحة ما تدعوننا إليه.

( قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ) أي : قال صالح عليه السلام لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي ومالك أمري.

( وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ) أي : وأعطاني من عنده لا من عنده غيره رحمة عظيمة حيث اختارني لحمل رسالته ، وتبليغ دعوته.

( فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ) أي : إذا كان الله تعالى قد منحني كل هذه النعم، وأمرني بأن أبلغكم دعوته فمن ذا الذي يجبرني ويعصمني من غضبه، إذا أنا خالفت أمره أو قصرت في تبليغ دعوته، احتفاظاً برحائلكم في، ومسايرة لكم في باطلكم؟ لا، إنني سأستمر في تبليغ ما أرسلت به إليكم، ولن يمنعني عن ذلك ترغيبكم أو تهيبكم.

( فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ) أي : فما تزيدونني بطاعتكم ومعصية ربي غير الوقوع في الخسران، وغير التعرض لعذاب الله وسخطه وحاشاي أن أخالف أمر ربي إرضاء لكم.

( وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ) أي: هذه ناقة شريفة فاضلة لإضافتها إلى الله تعالى إضافة تشريف، لكم فيها آية عظيمة.

• وكانوا هم الذين سألوها صالحاً أن يأتيهم بآية.

قال تعالى عنهم أنهم قالوا (فأتنا بآية إن كنت من الصادقين).

وفي سورة الشعراء (فأت بآية إن كنت من الصادقين).

وقال تعالى (وأتينا نمود الناقة مبصرة فظلموا بها).

أي : أن قوم ثمود طلبوا من صالح آية ناقة تخرج من صخرة عينوها، فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا.

• مبصرة: أي أن هذه الآية مبصرة: أي بينة تجعلهم يبصرون الحق واضحاً لا لبس فيه، دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي أجيب دعاؤه فيها.

• قال ابن الجوزي: قوله تعالى (لكم آية) أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال (لكم) لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم.

وفي وجه كونها آية قولان:

أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخضت بما تمخض الحامل، ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها.

والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه.

( فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ) فلا عليكم من مؤنتها شيء .

• قال القرطبي: قوله تعالى (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ) أي ليس عليكم رزقها ومؤنتها.

• وقال أبو حيان: قوله تعالى (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ) لما أضاف الناقة إلى الله أضاف محل رعيها إلى الله، إذ الأرض وما أنبت فيها ملكه تعالى لا ملككم ولا إنباتكم، وفي هذا الكلام إشارة إلى أن هذه الناقة نعمة من الله ينال خيرها من غير مشقة تكلف علف ولا طعمة، وهو شأن الإبل كما جاء في الحديث قال فضالة الإبل، قال مالك: ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها.

( وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ ) أي: بعقر أو غيره ، فلا تتعرضوا لها لا بضرب ولا بعقر ولا بغيرهما ، بل اتركوها ترعى وتستقي من فضل

الله عليها وعليكم .

● **قال الألوسي:** قوله تعالى (وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ) نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذى مبالغة في الزجر فهو كقوله تعالى (وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ).

والتنكير للتعميم أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً كالطرد والعقر وغير ذلك. انتهى.

● قال ابن كثير: قوله تعالى (نَاقَةُ اللَّهِ) قال ابن كثير: أضافها الله سبحانه وتعالى إضافة تشریف وتعظيم كقوله: بيت الله. (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) جواب النهي ، أي: قريب من عقرها ، وذلك ثلاثة أيام .

● ولعل الداعي لصالح لنهيهم عن التعرض لها مع أنهم لم يُظهروا ما يدل على ذلك : هو معرفة نبي الله صالح عليه السلام أن القوم متمردون مصرّون على كفرهم ، وذلك قد يدفعهم إلى قتلها ، لأنها آية دالة على صدقه وحجة قائمة عليهم ، وهم خصوم له ولدعوته ، والخصم لا يجب ظهور حجة خصمه .

(فَعَقَرُوهَا) أي: نحروا الناقة .

كما قال تعالى (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَّكَذُوبٍ).

وقال تعالى في سورة الشعراء (فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ).

وقد قالوا أيضاً كما في سورة الأعراف ( وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) أي: جئنا يا صالح بما تعدنا من العذاب الذي تخوفنا به، إن كنت حقاً رسولاً، قالوا ذلك استهزاء به وتعجيزاً.

● **قال ابن كثير:** فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه:

منها: أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية.

ومنها: أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين: أحدهما: الشرط عليهم في قوله [ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب]، والثاني: استعجالهم على ذلك.

ومنها: أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه .

● الذي تولى قتلها منهم، هو قدار بن سالف.

قال تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)).

● **قال الشيخ السعدي:**

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) أي: بسبب طغيانها.

(إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا) أي: أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف لعقرها حين اتفقوا على ذلك.

(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح عليه السلام محذراً:

(نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) أي احذروا عقر ناقة الله التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها.

(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ) أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم والرجفة من تحتهم فأصبحوا جاثمين على ركبهم لا تجد منهم داعياً ولا مجيباً.

● فإن قال قائل: لماذا قال (فعقروها) مع أن الذي تولى عقرها واحد؟

● **قال القرطبي:** إنما اضيف العقر إلى الكل، لأنه كان برضى الباقيين.

● **وقال ابن كثير:** وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف، وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم، فلهذا نسب الفعل

إلى جميعهم كلهم.

● **وقال الرازي:** واعلم أنه أسند العقر إلى جميعهم، لأنه كان برضاهم مع أنه ما باشره إلا بعضهم، وقد يقال للقبيلة العظيمة: أنتم فعلتم كذا مع أنه ما فعله إلا واحد منهم.

● **وقال ابن عاشور:** ومقصدهم من نيتهم إهلاك الناقة أن يزيلوا آية صالح عليه السلام لئلا يزيد عدد المؤمنين به، لأن مشاهدة آية نبوته سالمة بينهم تثير في نفوس كثير منهم الاستدلال على صدقه والاستئناس لذلك بسكوت كبرائهم وتقريرهم لها على مرعاها وشربها، ولأن في اعتدائهم عليها إيذاناً منهم بتحضرهم للإضرار بصالح عليه السلام وبمن آمن به بعد ذلك وليرؤوا صالحاً عليه السلام أنهم مستحقون بوعيده إذ قال لهم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم).

( **فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ** ) أي : قالمهم صالح لما عقروها ما أخبر تعالى عنه أنه قال ( **فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ** ).

● **قال ابن كثير:** وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم حمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه - عياداً بالله من ذلك - لا يدرون ماذا يفعل بهم ولا كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس وجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وأزهقت النفوس في ساعة واحدة [فأصبحوا في دارهم جاثمين] أي صرعى لا أرواح فيهم.

( **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ** ) وقال تعالى في سورة الأعراف ( **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَأَنْجِبُونَ النَّاصِحِينَ** ) قال ابن كثير: هذا تقرير من صالح عليه السلام لقومه، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإيائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم، تقريراً وتوبيخاً.

● قوله تعالى: (فتولى عنهم) فيه قولان:

**الأول:** أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا.

والدليل عليه أنه تعالى قال ( **فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ) والفاء تدل على التعقيب، فدل على أنه حصل هذا التولي بعد جثومهم.

● **قال السمرقندي:** ويقال: إنما قال ذلك بعد إهلاكهم، قال على وجه الحزن، إني قد أبلغتكم الرسالة.

**والثاني:** أنه عليه السلام تولى عنهم قبل موتهم.

بدليل: أنه خاطب القوم ( **وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ** ) وذلك يدل على كونهم أحياء من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قال لهم (يا قوم) والأموات لا يوصفون بالقوم، لأن اشتقاق لفظ القوم من الاستقلال بالقيام، وذلك في حق الميت مفقود.

والثاني: أن هذه الكلمات خطاب مع أولئك وخطاب الميت لا يجوز.

والثالث: أنه قال (ولكن لا تحبون الناصحين) فيجب أن يكونوا بحيث يصح حصول المحبة فيهم.

( **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ** ) القادر الذي لا يعجزه شيء .

وقد وصف الله -عز وجل- نفسه بِالْقُوَّةِ فَقَالَ تَعَالَى ( **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ) ، فالقوة لله جميعاً، يقهر من يشاء، ويدل من يشاء، وينصر من يشاء ويرزق من يشاء ويعز من يشاء .

القوي -سبحانه- الذي كتب الغلبة لنفسه ورسله فقال ( **كَتَبَ اللَّهُ لِلَّهِ لَأَعْلَبَنَّهُ إِنَّا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ) .

القوي كامل القدرة لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، الموصوف بالقوة المطلقة، والكمال الدال على قوته وجبروته، فالله تبارك وتعالى القوي، الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، الذي ينفذ أمره وقضاؤه، لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، ولا يفوته هارب؛ الذي قهر جميع المخلوقات، ودانت له الخلائق، وخضعت له جميع الكائنات، وامتنع أن يناله أحد من المخلوقات.

وفي القرآن نجد أن الله قد قرن اسم القوي باسمين مخصوصين تتكامل بهما معاني ودلالات اسم الله القوي، هذا الاسمان هما: العزيز والمتين، فكثيرا ما يقترن اسم الله القوي باسمه العزيز؛ لأن قوته عن عزة وغنى، فالقوة دائما تتبعها مصلحة، وأصحاب القوة في العالم إما يحمون بها أنفسهم، أو يمنحونها لغيرهم طلبا لتبعيةهم وشراء لذمتهم أو تهديدا لنهب ثرواتهم ومصا لدمائهم، أما القوي الغني عن العالمين، الذي يلطف بالخلق أجمعين، فقوته عن عزة وقدرة وحكمة .

قال تعالى ( اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ) يطعم ولا يطعم، يرزق ولا يرزق، يجير ولا يجار عليه، لا ملجأ للخلائق منه إلا إليه .

وقال تعالى ( الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) .  
( الْعَزِيزُ ) الذي له العزة الكاملة .

( وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ) المراد بالصيحة : صيحة الملك الذي أمره الله تعالى بها لإهلاكهم .

وقال تعالى ( فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ) .

وقال تعالى ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ) .

قال ابن كثير: أي بادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهدم يبس الزرع والنبات.

• وذكر تعالى في آية أخرى أنه أهلكتهم بالرجفة ( فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ) .

• قال الشنقيطي: الرجفة هي الاضطراب الشديد، أي: رجفت بهم الأرض واضطربت اضطراباً شديداً.

ولا منافاة: فالظاهر أن الملك لما صاح بهم اضطربت الأرض من تحتهم فأهلكهم الله بما جميعاً.

( فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ) أي : ساقطين منكبين على وجوههم لاصقين بالأرض .

( كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا ) أي : كأنهم لم يقيموا بها ولم يسكنوا بها .

( أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ) الكفر : الستر والتغطية ، وسمي تكذيب الكفار لدعوة الرسل كفرة لما فيه من ستر الحق وإخفائه .

( أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ ) أي : أبعدهم الله بعداً عن النجاة والسلامة .

الفوائد :

١ - أن جميع الأنبياء دعوتهم واحدة؛ وهي الدعوة إلى توحيد الله وترك الشرك.

٢- أن أهل الباطل يبغضون من يدعوهم إلى الحق ويحاول أن يحملهم عليه، فصالح كان محبوباً عندهم قبل أن يدعوهم إلى التوحيد ونبذ الشرك (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا).

وهذا فيه دليل على خطر طلب المحمدة والمنزلة عند الناس، لماذا؟

لان من يطلب ذلك لا بد أن يتنازل عن كثير من أمور الشرع.

يتنازل عن توضيحها وبيان تحريمها، لأنه اذا فعل ذلك أبغضوه وهو يريد المنزلة والجاه.

صدق من قال: ما صد عن دين الله مثل طلب المحامد.

قال ﷺ ( مَا ذُئِبَانَ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي عَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ جِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ).

وقد ذكر العلماء: أن من أعظم علامة الزهد استواء المدح والثناء، وأن الإنسان لا يبالي بمدح أو ذم في دين الله.  
٣- أن الآيات مهما كانت واضحة فإنها لا تهدي القوم المجرمين.

كما قال تعالى (وآتينا نمود الناقة مبصرة) أي واضحة جليلة في دلالتها على وحدانية الله تعالى.  
٤ - ينبغي الوثوق بنصر الله.

فقد دمر الله الأمم المكذبة وأبادهم عن آخرهم.

قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين).

الخميس: ١٥ رمضان ١٤٣٩هـ